تاريخ الاستلام: 2016/04/05- تاريخ التحكيم: 2016/08/08 - تاريخ النشر2016/12/30

كرونولوجيا مفهوم الرأي العام في بحوث الاعلام

أ. فاطمة الزهراء قيطة

جامعة الجزائر3- الجزائر

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

تهدف هذه الدراسة النظرية إلى الوقوف عند السيرورة التاريخية لمفهوم الرأي العام، الذي أثار ولا زال يثير العديد من الإستفهامات على مستوى الدراسات الإجتماعية والإنسانية، فلقد ظهرت نظريات عُنيت بتفسيره، ودراسة علاقته بمفاهيم وظواهر أخرى، ولعل نظريتي الأجندة ولولب الصمت من بين أهم النظريات الرائدة في بحوث الرأي العام.

لكن ما نود الإشارة إليه في هذه الدراسة هو الكيفية التي تطور بها المفهوم إلى أن وصل بالشكل الذي يظهر عليه الآن وذلك بالعودة إلى كرونولوجيته من العصور القديمة ووصولا إلى العصر الحديث، وبالوقوف عند أهم التعاريف الخاصة به وكذا مناقشة مفهومي المخيال الإعلامي و مفهوم الرأي العام عند بيار بورديو.

الكلمات المفتاحية: الرأي العام، الاتفاق العام، صوت الجماهير، المخيال الاعلامي، الفقاعة المصطنعة.

Abstract:

This theoretical study aims to stand at the historical process of the concept of public opinion, which has raised and still raises many question on the level of social and human studies, it has emerged theories are meant to interpret, and the study of its relationship to the concepts of other phenomena, and perhaps my theory Agenda and spiral of silence among the most important theories leading public opinion research.

But what we would like to refer to it in this study is how the evolution of the concept to be reached as it appears it now and then to return to Kronologith from antiquity through to the modern era, and stand at the most important definitions of its own, as well as discuss the concepts of media imagination and the concept of public opinion when Pierre Bourdieu.

Key words: public opinion, the General Agreement, the voice of the masses, the media imagination, artificial bubble.

مقدمة:

مرّ مفهوم الرأي العام بمراحل متعددة إلى أن تجسد بالشكل الذي عليه الآن، فلقد اختلفت وجهات النظر حوله بإختلاف الأماكن والأزمنّة، حتى باختلاف الباحثين الذين إهتموا به كظاهرة تستحق الدراسة، ومع التطورات التي عرفتها المجتمعات خاصة فيما تعلق منها بظهور وسائل الاعلام والثورة الرقمية فيما بعد كل هذه الأمور أدت الى زيادة الإهتمام به وإعطاءه مجالا للدراسة.ونهدف من خلال هذه الورقة الإجابة على التساؤل المتعلق بتطور المفهوم إنطلاقا من العصور القديمة ووصولا إلى العصر الحديث، بالإضافة إلى محاولة معرفة واقعية المفهوم ومدى تجسيده.

أولا: الخلفية التاريخية لمفهوم الرأي العام

☜ **الرأي العام في ارتباطه بالبعد الفلسفي:**

إنبثق مفهوم الرأي العام من جملة الأفكار التي طرحها الفلاسفة في الأزمنة الماضية، فلقد إرتبط المفهوم في بداياته بما قدمه الفلاسفة **اليونانيين والرومانيين** بالإضافة إلى **الصينيين**، على الرغم من أنّه لم يتجسد حسب بعض الباحثين إلا في القرن الثامن عشر.

فعلى الرغم من أنّ هذه الظاهرة لم تدرس وبشكل علمي من قبلهم، الا أنهم إستطاعوا أن يتصوروا مفاهيما خاصة بها بناء على ما هو متواجد في دولهم، فلقد عكست المناقشات العامة التي كانت تدور حول حق المشاركة في الحياة السياسية وفي الهيئات التمثيلية، أمثال **المؤتمر العام ومجلس الخمسمائة**، بوادر بروز الرأي العام (سكري،ر,1984: 12)

وشكلت كتابات كل من **أفلاطون وأرسطو** بداية متواضعة لدراسة المفهوم، فيرى **أفلاطون** (427_347 ق.م) أن مستلزمات السياسات لا يمكن أن تتأثر بمواقف العامة (عزي،ع.1990: 32)، وبالتالي فقد سارع الى ذم السياسة الديمقراطية، مصورا الفلسفة على أنّها الموجه الصحيح للأمور الإنسانية، فهو ينظر إلى رأي الناس أي العامة بدرجة ضئيلة من الإحترام، لأنه يحبذ قيام الدولة الأرستقراطية من خلال النظر إليها بإعتبارها دولة ذات صبغة عقلانية وطبقية، قائمة على أساس موافقة المحكومين وقبولهم، ويكون فيها الحكام هم الأوصياء على الصالح العام (حاتم،م.1973: 14)، على

عكس تلميذه أرسطو الذي إعترف بجدوى الحكومة الدستورية وبحق بعض فئات الشعب من التعبير عن آرائها لكبح جماح الطبقة الحاكمة.

وهكذا فلقد عرف **اليونانيون** مفاهيم قريبة من الرأي العام **كالإتفاق العام** أو **الإتجاهات السائدة،** فقد أوجد مواطنو المدن جوا لإبداء آرائهم وأفكارهم وذلك لمكافحة الأرستقراطية والطغيان، فتجسد الرأي العام في مناقشاتهم الجدلية التي عُرفت بالتنظيم، من خلال تشكيلهم لما سُمي آنذاك **بالجمعية العامة** التي تمثل ما يطلق عليه الآن البرلمان والحكومة والقضاء، فلقد كانت القرارات تُتخذ من طرف تلك الجمعية بأغلب أصوات المجتمعين الحاضرين طبعا. وفي هذا الشأن يقول **جيمس براين** في كتابه الديمقراطية الحديثة " لم تترك جمعية المواطنين أي ميدان الا وطرقته فهي التي كانت تختار قادة الجيش والموظفين وتعلن الحرب وتعقد المعاهدات وتأمر بإقامة الحفلات العامة وتسن القوانين وتفرض الضرائب وتحكم في القضايا المدنية والجنائية وأحكامها تصدر أحيانا دون محاكمة فلا ردّ لقراراتها ولا معقب عليها (طرشي،ف:42).

وكما قال **أرسطو**" فإنّ تلك الجمعية كانت تفعل ما تشاء لا يحكمها سوى صوت الأغلبية"(طرشي،ف:42) وهكذا كان في عصر الديمقراطيات اليونانية يُتاح لكل مواطن فرصة التكلم وإبداء الرأي.

ومع ظهور الإمبراطورية **الرومانية** برز ما سمي آنذاك **بصوت الشعب أو صوت الجماهير Vox Populi** وتكلموا عن الآراء الشائعة بين الناس، وظهر ناقلوا الأخبار المحترفون، وأدى ذلك الى نشاط عملية الإتصال والرأي العام، ولقد كان لكل من **شيشرون وأخيه كونتيوس** دورا كبيرا في تشكيل الرأي العام الروماني آنذاك (سكري:12) .

☜ الرأي العام في ارتباطه بالبعد الديني

شكل الصراع بين الكنيسة (السلطة الدينية) والملك (السلطة الدنيوية) في فترة **العصور الوسطى** مدخلا أساسيا لتبلور وظهور الرأي العام، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن الرأي العام في هذه المرحلة كان سلبيا، مرجعين ذلك إلى السيطرة المطلقة للحكام والمعتقدات الدينية، ومع ذلك فلقد عرف العالم المسيحي عبارة **الإتفاق العام Consensus** وهي مبنية على المفهوم الرواقي لفكرة **الشعور الجمعي**

commanis Sensusالتي كان يستعملها أنصار البابا وخصومهم أنصار الإمبراطور للتعبير عن التقاليد السائدة والإتجاهات العامة للرأي العام في المناطق المختلفة المتنازع عليها (بدر،أ.2010: 46). ولقد ظهر في هذا العصر مجموعة من الكتاب منهم**ألسيون**Alcuin**ووليم مالمسبوري**Malmesbury ثم **مكيافيللي** بعد ذلك، كمّا ظهرت تعابير جديدة منها، **انّ صوت الشعب من صوت الله**، والعقل العام لدى **مونتسكيو وجان جاكروسو** الارادة العامة (بدر: 46).

ولقد حدث تطورا ملحوظا في الكتابات التي تناولت الرأي العام في هذا العصر خاصة ماإرتبط منها **بمكيافيللي** (1469_1537) فهو يرى أنّ الرأي العام عنصر لابد أن يؤخذ في الحسبان في عملية الصراع من أجل السلطة ويورد في **كتابه الملك** " **إن أحسن حصن يوجد في محبة الناس، إذ بالرغم من أنك قد تمتلك عدة حصون فإنها لن تحميك إذا كنت مكروها من هؤلاء الناس" (عزي، ع: 32**) فهو يرى بأنه ينبغي إستعمال الرأي العام من أجل الوصول إلى السلطة.

كما كان للرأي العام في عصور النهضة الإسلامية دورا فعالا في مختلف جوانب الحياة الإسلامية، فقد أولى الإسلام أهمية للحريّات منها حرية المعتقد والحرية الشخصية، كما وضع أصولا عاما للحكم منها مبدأ الشورى، وأقرّ بحق الشعب في مقاومة طغيان الحاكم، فالخليفة مجبر على إتباع القرآن والسنة فإذا خرج عليها وجب معصيته، وهكذا فلقد كان الخلفاء الراشدون يبدون عناية شديدة بمعرفة آراء الرعية وإتجاهات الرأي فيها.

فالإسلام جاء ليُقيم من مبدأ إجتماع الكلمة أساسا لتولي مقاليد الحكم في الدولة الإسلامية، فأعطى بذلك للرأي العام المعبر عنه في صورة الإجماع صلاحيات جوهرية منها تقويم الحاكم إذا جانب الصواب في قوله أو فعله، وفي ذلك الإطار كانت الكلمة العليا في شؤون السياسة والحكم للرأي العام القائد من خلال صفوة الأمة وأهل الرأي والمشورة فيها.

إذن فالشورى ترتبط إرتباطا وثيقا بالمؤسسة السياسية، ويرى **محمد عمارة** أنّ "**الشورى فريضة في سياسة الدولة أو الأمة، بل وشرط في طاعة الرعية للراعي**" (عزي، ع:40) وهكذا فلقد وضع المنهج

الإسلامي تعاليما خاصة تربط وتضع علاقة بين الحاكم والمحكوم متجاوزة بذلك ما طرحه الفلاسفة فيما أسموه **بالعقد الاجتماعي**.

فالشريعة الإسلامية تولي أهميّة كبرى للرعية من خلال مبدأ الشورى، كما أنّها تحدد الفئة التي يجب إستشارتها. فالنص القرآني يشير إلى سؤال **أهل الذكر، وأولي الأمر**، والمقصود هنّا أن الإستشارة والآراء التي يطلقها هؤلاء تكون مؤسسة ومبنية على أسس علمية، وبالتالي تكون مقومة لعمل الحاكم إزاء محكوميه.

☜ **الرأي العام في إرتباطه بالبعد الأمبريقي**

شكل ظهور الطباعة على يد جوتنبرغ وما نتج عنه من زيادة في المطبوعات، والذي أدى بدوره إلى زيادة عدد القراء وكذلك ظهور حركة الإصلاح الديني، كل هذه العوامل وغيرها ساهمت في زيادة الإهتمام بظاهرة الرأي العام.

وقد ساعدت الحروب والمنازعات التي قامت في إنجلترا وفرنسا وأمريكا حول المسائل السياسية الدينية على تداول معاني الرأي السائد، ففي خضم الثورة الفرنسية ظهر إصطلاح الرأي العام على لسان وزير المالية الفرنسي **جاك نيكر** عندما توجه للجماهير الفرنسية طالبا منهم المساهمة المالية في بورصة باريس، وهكذا فلقد كان **نيكر** أول من ساهم في نشر مفهوم الرأي العام وأقرن بين ظهور المفهوم والعدالة السياسية وبروز الطبقة المتوسطة في فرنسا (عزي، ع:33).

عمّت أوربا بين القرن السادس والثامن عشر حركة فكرية في كل الميادين، حيث عالج بعض الكتاب مواضيع جديدة كانت أغلبيتها تدور حول الرأي العام والاعلام، السلطة والرأي العام، دور الصحافة في تشكيل الرأي العام، ومن الكتاب الذين تناولوا هذه المواضيع وغيرها،**جان جاك روسو، جون ستيوارتميل** (سكري:14).

ففي فرنسا أكد روسو في كتاباته على ضرورة إحترام الحكومة **للإرادة العامة**، وأشاد بقوة الإرادة العامة وأهميتها بالنسبة للحكم الإستبدادي، كما أعلن إعتماد جميع القوانين سياسية كانت أم مدنية جنائية على الرأي العام أو الإرادة العامة كما سمّاها، وربّما كان من بين أوائل الفلاسفة الذين وصلوا إلى إصطلاح قريب من الرأي العام تمثل عنده في الإرادة العامة.

ويرى بعض الباحثين بأنّ **روسو** هو من إستخدم تعبير الرأي العام فلقد إعتبره في كتابه "**العقد الاجتماعي**" بأنه "**الرغبة العضوية للجماعة المعُبر عنها في الرغبات العامة لأفرادها**" (عزي، ع:33)

كما شجعت **الثورة الفرنسية** المناقشات المتعلقة بالرأي العام في كل من ألمانيا وإنجلترا، وكانت هذه المناقشات في عقول واضعي الدستور 1787 في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي ألمانيا أكد **ويلاند C.M.Wieland** في كتاباته على أن الحكومة لم تعد تستطيع أن تحكم دون إحترام الرأي العام ورضاه (بدر،أ: 49).

إهتم **هيجل Hegel** بالرأي العام وإعتبر أنّه يستحق الإحترام أحيّانا ويستحق الإزدراء أحيّانا أخرى، وفي إنجلترا شدد **جون ستيوارت ميل** على أهمية الرأي العام وقال:" **لو إتفق العالم كله على رأي معين ماعدا شخص واحد فليس للعالم الحق في إسكات وقمع ذلك الرأي**" (سكري: 14) ولقد حاول **ميل** من خلال هذا الطرح التأكيد على أهمية ودور الرأي العام.

وكان لأفكار الفلاسفة والمفكرين التحرريين الذين يؤمنون بحرية الرأي والعقل أهمهم **مونتسيكيو، فولتير وروسو** الفضل في التمهيد لبلورة الرأي العام، وتنويره بالإضافة للدفع القوي إتجاه العمل السياسي وظهوره كقوة ضغط داخل الأنظمة السياسية المعاصرة.

ومع حدوث **الثورة الصناعية** إنتقل مركز الثقل في نشاط الفكر السياسي من فرنسا الى إنجلترا، حيث سادت الفلسفة النفعية **لجيرمي بنتام Jeremey Bentham** والقائمة على "**أكبر السعادة لأكبر عدد من الشعب**"(**بدر،أ:50**)، وحلّت هذه النظرية محل القانون الطبيعي الذي ساد في القرن الثامن عشر، وقد أضافت نظرية المنفعية الى الجانب العقلاني للرأي العام جانبا آخر فرديا.

إنّ هدف الفرد في حياته العامة هو الحصول على السعادة، وهو ليس بحاجة إلى نخبة تفكر له وتدلُه على مصالحه في المجتمع لتحقيق ذلك، حيث يؤهله حسه لإدراك شؤونه بصورة عامة، ويستطيع أن ينمي هذا الحس بالتربية والتعليم، وبناء على ذلك فإن الشعب بأجمعه يستطيع أن يميّز الصالح وأن يفتش عن سعادته.

وهكذا فلقد أكد "**بنتام**" في كتاباته على أهمية الرأي العام كأداة **ضبط إجتماعي** وجعل منه صمام أمان ضد أي نظام إستبدادي، وبالتالي فلقد ربطه"**الرأي العام**" بالنظرية الديمقراطية وإعتبره جزءا لا يتجزأ منها (سكري:15) بالإضافة إلى أنّه أعطى للصحافة دورا مميزا نظرا لدورها في تكوين الرأي العام والتعبير عنه، أدت هذه الكتابات من قبل أغلب مفكري عصر النهضة الى الاهتمام بالرأي العام وظهر كقوة لا يستهان بها لدى أغلب الحكومات في مطلع القرن العشرين.

إذن فالقرن التاسع عشر حمل معه تطورا واضحا على مستوى مفهوم الرأي العام، فما أتاحته الثورة الصناعية أدى الى نشوء علاقات إجتماعية جديدة، وبدأت النظريات تتصارع في شتى الميادين الدينية والثقافية والسياسية وحتى الإقتصادية، وهذا كله زاد من فعالية الرأي العام وأهميته.

ولقد عرف القرن العشرين تطورا على مستوى مفهوم الرأي العام من خلال ما أنتج في هذا القرن من كتب تعالج هذا المفهوم، منها المؤلف الذي سُمي **بالرأي العام والحكومة الشعبية**(Public Government Opinion and Popular)والذي أعاد طرح إشكالية الرأي العام وما تثيره من تساؤلات، ولقد أظهر **لوال** صاحب المؤلف، أن الرأي العام لم يظهر فقط لأن العامة عبرت عن آرائها في مسائل عامة، ولكن الرأي العام الحقيقي لابد وأن يكون رأي المجموعة البشرية، لأن رأي الأغلبية لا يعتبر كافيا فالأقلية قد لا تشارك الأغلبية رأيا ولكنها لابد وأن تحس ملزمة اقتناعا وليس بالقوة بتقبل هذا الرأي (عزي، ع: 34) .

كما أسهم علماء الإجتماع وعلم النفس الإجتماعي في دراسات الرأي العام في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، فلقد إهتم علماء الإجتماع به كأحد الضوابط الإجتماعية، وإهتم به علماء علم النفس الاجتماعي عن طريق دراسات السلوك الفردي والجماعي، ولقد ظهر في هذه الحقبة أيضا كتاب **بنتلي** الذي تحدث فيه عن دور الجماعات المنظمة في عملية تكوين الرأي، ووضع بذلك الأساس لما عرف فيما بعد **بالجماعات الضاغطة** وعلاقتها بالرأي العام.

كما شهدت الحقبة الثانية من القرن العشرين (1910_ 1920) تطورات كثيرة منها قيام وإنتهاء الحرب العالمية الأولى بما أثارته من إهتمام بالدعاية السياسية، ومكنّت من فتح أبعاد جديدة للرأي العام، وشهدت ظهور مجموعة من الكتب في هذا الشأن.

ولقد عرف هذا القرن وخاصة في حقبة الثلاثينيات تطورا واضحا في دراسة هذا المفهوم من طرف الباحثين، حيث حدث تحول بارز في المنهج المتبع لدراسة الرأي العام خاصة في أمريكا، حيث عالج الباحثون الإجتماعيون لحد الآن ظاهرة الرأي العام كجزء من إهتمام عام يخص طبيعة المجتمع وأدائه. ومن ثم فقد درس هؤلاء مفهوم الرأي العام في تجلياته التاريخية والنظرية والفلسفية، ونجد أن التحول الذي حدث في هذه الحقبة إتجه نحو قياس المواقف والأفعال وتقرير نتائج ذلك.

وهكذا فلقد شهدت فترة الثلاثينيات تطورا واضحا وملموسا في ميدان قياس الرأي العام، حيث عرفت هذه الفترة ظهور أول مقال **عن الرأي العام** في موسوعة العلوم الاجتماعية سنة **1933**، كما ظهرت أول **مجلة فصلية** في الرأي العام سنة 1937، وأسس في العام نفسه عدة **معاهد لقياس الرأي العام**، كان أهمها معهد **قالوب** (**Gallup**)، إذن فلقد أضحت دراسات الرأي العام أقل إرتباطا بالفلسفة والتاريخ وأكثر إقترانا بالجوانب الحاضرة و الأمبريقية ثم بما سمي بالثورة السلوكية (خاصة في العلوم السياسية) (حجاب،م.2000: 30).

وبنهاية هذه الحقبة زاد الإهتمام بالدعاية الخارجية، وتمثل ذلك في الإنتاج الفكري المتزايد في هذا المجال ومع الحرب العالمية الثانية زاد الإهتمام بالرأي العام سواء من النواحي النظرية أو التطبيقية، وذلك للإستجابة للحاجة الملحة إلى الدراسات المتعلقة بأثر الإتصال على الجنود والضباط ومواقفهم إتجاه القادة العسكريين والحياة العسكرية ودعاية الأعداء، وهكذا فلقد إستمر الإهتمام بالمفهوم في هذه الحقبة في إرتباطه بأبعاد جديدة منها النظم الفاشية والنازية والشيوعية.

كما كان لإدخال التلفزيون أثره البالغ على دراسات الرأي العام والإعلام، خاصة بالنسبة لأثره في السلوك الفردي والإجتماعي، وعلى السياسة والأطفال، كما كانت هناك عدة عوامل ساعدت على تنشيط البحوث في هذا المجال وأهمها التقدم العلمي والصناعي والتكنولوجي الهائل، وما أحدثه هذا التقدم من إنتعاش إجتماعي.

وفي هذه الآونة تُوّج الرأي العام إنتصاراته وتزايدت فعاليته، وذلك بالتقدم المذهل في وسائل الإتصال الجماهيري، وأصبحت وسائل الاعلام من أهم الأدوات التي تعتمد عليها نُظم الحكم المختلفة في الإتصال بالجماهير والوقوف على إتجاهاتها وميولها ومحاربة التأثير عليها، وتعتبر الثورة الرقمية التي أتاحها

القرن الحادي والعشرين قفزة نوعية أخرى في البحوث المتصلة بالرأي العام، من خلال إستخدامها كأداة رئيسة للإتصال الجماهيري وبالتالي التأثير على الرأي العام.

ثانيا: محاولة إعادة النظر في المفهوم

☜ **أبرز مفاهيم الرأي العام منذ القرن الثامن عشر إلى الوقت الراهن**

أدى التطور التاريخي للمفهوم منذ العصور القديمة إلى الوقت الراهن مرورا بالعصور الوسطى، إلى إنتاج بعض التعاريف الهامة له، ويمثل القرن الثامن عشر وحسب العديد من الباحثين، نقطة البداية لصياغة وبلورة هذا المفهوم، فلقد شهد هذا القرن بالذات إنتاج تعاريف عديدة له، محاولة إما تفسيره، أو بلورته.

فيرى الباحث **ماكينون W.A.Mackinnon** بأن الرأي العام يوصف بأنّه تلك العاطفة إزاء موضوع معين التي يرحب بها أكثر أعضاء الجماعة إطلاعا وذكاء وتمسكا بالأخلاق، هذه العاطفة التي لا تفتأ تنتشر وتعتنق تدريجيا من جانب جميع الأشخاص تقريبا الذين تتكون منهم جماعة متعلمة ذات مشاعر سوية تعيش في دولة متمدنة متحضرة (حاتم: 27).

ويحيلنا هذا التعريف إلى مفهوم آخر إرتبط بظهور وسائل الاتصال الجماهيري، وهو مفهوم **قادة الرأي** الذين يكون لهم دورا كبيرا ووسيطا في إحداث التأثير على الجمهور بالنسبة لهذه الوسائل، وكما نرى من خلال التعريف الذي يجسد لنا مجموعة من الأعضاء يكون لهم عاطفة معينة تجُاه موضوع معين.

بينما كتب **كوولي C.H.Cooley** بأن الرأي العام عملية عضوية لا مجرد حالة إتفاق حيال مسألة من مسائل وقتنا الراهن (حاتم: 27).

والمتتبع للتعاريف التي أعطاها الباحثون للرأي العام يرى بأن هناك إختلافا واضحا بينهم في توضيحه، فهو من المصطلحات القليلة التي يصعب على الباحثين تعريفها تعريفا دقيقا، ويذهب بعض الخبراء إلى أن القدرة على قياس الرأي العام تفوق القدرة على تعريفه وتطويعه، فعلى الرغم من أن المفهوم ظهر في القرن الثامن عشر فإنه لم يُعرف بعد بشكل محدد أو مُرض، فالرأي العام من الصعب وصفه،

ومن الميسور قياسه، ومن المستحيل رؤيته، ورغم كل هذه الصعوبات فإن قوة الرأي العام لا يمكن تجاهلها في أي مجتمع (محمد، ع.1982:90).

وتنبع هذه الإختلافات في تعريف الرأي العام من إختلاف تخصصات الباحثين، كما قد تكون من التباين في وجهات النظر الإجتماعية والسياسية تجُاه الشعوب ومدى الإيمان الحقيقي بدورها في المشاركة السياسية، وربما من إختلاف الفكر والعقيدة والإرتباط بإيديولوجيات مختلفة.

ومن مظاهر إختلاف الباحثين في تعريفهم للرأي العام هو إعتباره مرادفا للإتجاه، أو الحكم أو السلوك، ويوجد منهم من يجعل من الرأي العام مجرد تجمع للآراء الفردية، ومنهم من يذهب إلى تعريف الرأي لوحده والعام لوحده، وبالتالي يُقسم المفهوم الى شقين أو إصطلاحين **الرأي والعام**، لكي يحدد في الأخير تعريفا للمفهوم ككل، كما يوجد من إعتبر جماعة المثقفين أوالأغلبية هي جماعة الرأي العام.

وعند تعريفنا للرأي العام رأينا أنه من الضروري تقسيم المفهوم إلى شقين، لكي يتسنى لنا توضيحه بصفة جيدة، فهو مصطلح يتكون من شقيّن، فكلمة الرأي وحسب الباحث **عبد الله بوجلال** تُستخدم لوصف التعبير عن شيء مختلف أو متميز عن المعرفة الثابتة، **الرأي** هو التعبير عن إتجاه نحو أمر جدلي أو قضية، ويدور الإختلاف والتناقض حول مسائل جدلية أي يوجد فيها مجال لإبداء الرأي (بوجلال، ع.1990: 08).

والرأي جزء من منظومة متكاملة تبدأ بالمعلومات وتنتهي بالسلوك، وتشمل(المعلومات، الآراء، الاتجاهات، القيم، المعتقدات، والسلوك) ويخلط كثير من الباحثين بين هذه المسميّات الخمسة في نفس الوقت الذي لا يمكن فيه تكوين الآراء إلا بناء على المعلومات، ولا يمكن قياس الرأي لدى فئات ليس لديها معلومات عن الموضوع أو القضية المطلوب قياس الرأي بشأنها، كما أن المعلومات الخاطئة أو المضللة تؤدي إلى تكوين الآراء الخاطئة أوالسلبية، ومن جهة ثالثة توجد علاقة بين الرأي والإتجاه، فالرأي هو التعبير المعلن عن إتجاه نحو أمر جدلي أو قضية خلافية، بينما يعبر الإتجاه عن الميل أو الإستعداد لدى الأفراد للقيام بسلوك إيجابي أو مضاد نحو موضوع ما (بوجلال:10).

أما كلمة عام public فيذهب بعض الباحثين إلى تعريفها بأنّها مرادفة لكلمة شائع أو جماهيري، بينما تُعبر هذه الكلمة في سياق تعبير الرأي العام عن كلمة جماعة أو جمهور أو فئة، أو شعب، وهذه الجماعة أو هذا الجمهور يتأثر أفراده معا بتصرفات أو أفكار معينة.

ومن هنا فإن الرأي العام وطبقا لهذا التفسير، ليس هو الرأي الشائع على إطلاقه، بل هو رأي جماعة معينة أو فئة معينة أو جمهور معين، قد يكون لديه إهتماما خاصا بالموضوع أو الفكرة أو القضية التي يقاس رأيه فيه، أو قد يكون جمهورا متجانسا من الناحية التعليمية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، أو المهنية، أو العمرية، وغيرها من التقسيمات المختلفة.

ويعرف كل من **جيمس برايس(Brice)** ودوب (**Doob**) عالما الاجتماع السياسي الأمريكيين الرأي العام بقولهما "**على أنه إصطلاح يُستخدم للتعبير عن مجموع الآراء التي يدين بها الناس، المنتمين إلى نفس الجماعة الإجتماعية، إزاء المسائل التي تؤثر في مصالحهم العامة والخاصة**" (سكري:16)

ويحدد أستاذ علم السياسة الأمريكي **جيمس.ن.يونج** الرأي العام بأنه الحكم الإجتماعي لجماعة ذات وعي ذاتي على موضوع ذي أهمية بعد مناقشة عامة ومقبولة"(سكري:17)

ويعرفه الباحث **إبراهيم إمام** بأنّه الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة، إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات، أو مسألة من المسائل العامة التي تثير إهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة" (إمام،إ.1969:205)

ويرى الدكتور **مختار التهامي** بأنه الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعية في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر، يحتدم فيها الجدل والنقاش، وتمس مصالح هذه الأغلبية أو قيمها الإنسانية مسا مباشرا"

ويذهب **محمد عبد القادر حاتم** في كتابه الإعلام والدعاية إلى قوله بأنّه الحكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ذات إعتبار ما ويُشترط بعض الشروط لتحقيق ذلك من أهمها (سكري:17):

_ أن تكون هناك مناقشات وافية حول القضية المطروحة.

_أن تكون القضية مثارةبكل حقائقها عن طريق القادة، أو أجهزة الاعلام والدعاية، أو عن طريق الجماعات والهيئات العامة.

_أن يكون الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في هذه القضية يتفق تماما مع المعتقدات العامة للناس مثل العقيدة الدينية أو القومية أو غيرها التي يعتنقها الشعب.

ويرى الباحث **عزي عبد الرحمان** في مقاله المنشور في مجلة الاتصال الجزائرية أن بمراجعته لعدد من المصادر الإعلامية تبيّن له أن هناك نوعين من التعاريف الخاصة بالرأي العامة (عزي:30).

ولقد صنفها الباحث إلى قسمين، تعاريف رأى أنها **أولية**، وأخرى يعتقد **أنها دالة**.

في إشارة منه إلى أنّ التعاريف **الأولية** حاولت صياغة ما يمكن أن يتضمنه المفهوم ببعض التعابير التي لا تتعدى عملية تمديد هذا المفهوم الى حد معين، فهي تعاريف لا تتعدى وصف الظاهرة، كما أنّها لا ترتقي إلى مستوى التنظير الفلسفي الذي يُعطي المفهوم دلالة خاصة، فالتعاريف الأولية للمفهوم هي مجرد عملية تحصيل الحاصل، أي تعريف المفهوم ظاهريا دون الغوص في الخلفية النظرية، أو في الأبعاد التزامنية والتطورية، فهو يرى أن تعريف كل من **ليونارد دوب**، **وهنيسي** ما هي الا تعاريف أولية لا تتجاوز المستوى الظاهري للمفهوم.

كما يرى أن التعاريف الدالة هي التي تضفي على المفهوم صبغة خاصة لإعتبارات إيديولوجية ونقدية، ومن بين هذه التعاريف ما يلي:

- مجموعة آراء الأفراد حول موضوع ذو أهمية عامة، والتي في مقدورها ممارسة التأثير على مواقف الأفراد والجماعات وعلى سياسات الحكومات.
- المحرك الذي يجعل الديمقراطية تتحرك.
- حكم إجتماعي لمجتمع واع في مواجهة قضية هامة بعد مناقشات علنية وعقلية.
- تعابير شفوية أو غير شفوية لمجموعة فئة إجتماعية تضفي الإنتباه على مسألة جدلية في زمن محدد.

ثالثا: قراءة في مقال بيار بورديو حول الراي العام

يُمثل المقال الذي نشره الباحث **بيار بورديو** سنة 1973 والذي أكد فيه على عدم وجود رأي عام، إنطلاقا من مجموعة من الإفتراضات والأفكار التي تدعم هذا الرأي.

إستهل **بيار بورديو** حديثه عن الرأي العام أو عمليات سبر الآراء بطرح المسلمات الثلاث للرأي العام، ولقد أردف بيار بورديو قائلا بأن هذه العمليات لا تعبر إلا عن **فقاعات مصطنعة** أي آراء **مشكلة لخدمة مصالح سياسية معينة**.

وينفي الباحث وجود الرأي العام بناء على مجموعة من الإعتبارات كان أهمها:

- أسئلة السبر التي تكون في غالب الأحيان متحيزة أي صياغة الأسئلة بشكل متحيز، فمثلا الاجابة عن السؤال تأتي متضمنة في الشكل الذي يتم به طرح السؤال.
- كما يرى أن هناك علاقة بين طبيعة الأسئلة وإنشغالات رجال السياسة، فحسبه أن الأسئلة ما هي إلا تعبير عن الإنشغالات التي يريد معرفة رجال السياسة رأي الناس فيها.
- ترتبط الإشكاليات المقترحة من قبل معاهد السبر بالمصالح السياسية، وهو ما يوجه وبشكل قوي دلالة الأجوبة.
- إعتبر عمليات سبر الآراء ما هي إلا عمليات سياسية يحاول من خلالها فرض الوهم بوجود رأي عام.
- كما يرى أن كل ممارسة للقوة يترافق معها خطاب يهدف إلى إعطاء شرعية لقوة من يمارسها، بل يمكننا حتى الإقرار بأنّه من خصوصية كل ميزان قوى مهما كان، هو أن لا تكون له قوته إلا في حال ما إذا ظهر وبرز بذلك الشكل فالرجل السياسي هو الذي يقول إن الرأي معنا (بورديو،ب.ب س:126).
- كما أكد الباحث على أن معاهد سبر الآراء لا تأخذ بعين الإعتبار الممتنعين عن الإجابة كطرفا فاعلا في تشكيل الرأي العام، فهو يرى أن هذه الفئة حتى بإمتناعها تحمل إما تأييدا أو معارضة، لذا لا ينبغي تجاهلها، خاصة إذا كانت نسبتها كبيرة بالمقارنة مع المجتمع المدروس.
- عدم مراعاة الإختلافات الفردية والمعرفية في صياغة أسئلة السبر، هذه الأخيرة التي تريد أن تحقق غاية من إستعملها.
- كما أن هذه العمليات تضع الناس موضع المجيبين عن أسئلة لم تطرح أصلا.

ويؤكد الباحث على أن التأثير القوي لعمليات سبر الآراء هو تركيب فكرة مفادها أنه يوجد رأي عام مجمع عليه، الهدف منه هو إعطاء الشرعية لسياسة ما، وتدعيم موازين القوى التي تشكلها.

كما يشير الباحث الى أن الرأي العام غير موجود، على الأقل بالطريقة التي يُقرها أصحاب المصالح السياسية ويفرضون بها وجوده (الرأي العام).

ففي قراتنا للمقال الذي قدمه بيار بورديو لمسنا نفيه المطلق بوجود رأي عام يظن أنه شُكل بالنظر للمصالح السياسية لرجال السياسة، كما أنه أكد وإستنبط هذا الرأي من خلال التمحيص والتدقيق في طبيعة وكيفية صياغة الأسئلة التي توجهها المعاهد الخاصة بالسبر، فكأنما قام بيار بورديو بدراسة تحليلية لعملية السبر وكيفية تشكيله لدى أصحاب مراكز السبر، كما درس العلاقة بين المراكز وذوو المصالح السياسية.

رابعا: المخيال الإعلامي بديلا للرأي العام في العالم العربي الاسلامي

يرى الباحث **عزي عبد الرحمان** أن الرأي العام يحمل تناقضات في البنية الفكرية التي يقوم عليها وفي نشأته وتطوره، ولقد حدد مجموعة من المتناقضات (عزي: 42):

- أن الرأي العام لا يعين فئة إجتماعية أو سياسية أو جغرافية أو إثنية محددة، كأن يقال الرأي العام العمالي أو النسوي أو الطلابي الخ، بل يختزل هذه الفئات المتنوعة في مواقعها وأهدافها في كتلة خيالية تفترض التواجد في الوقت الذي لا نجد ما يؤسسها في حقيقة الواقع.
- كما يعتقد أن الرأي العام لا يمثل كيانا مستقلا لأنّه يتشكل من خلال ماتبثه وسائل الاتصال الجماهيرية، هذه الأخيرة التي عادة ما تكون وثيقة الصلة ولو بدرجة متفاوتة بمؤسسة الدولة، وبالتالي فهو يوافق **بورديو** في أن الرأي العام الذي يشكل عبر وسائل الاعلام ما هو الا إنعكاسا للرأي الذي تؤسسه المؤسسة السياسية.
- ويشير الى أن مفهوم الرأي العام إرتبط في المجتمعات الغربية بإنتشار التعليم وظهور المشاركة السياسية، وهذه الظروف حسبه هي التي مهدت للمطالبة بأخذ رأي هذه الطبقات، وأخذ رأيها بعين الإعتبار إعلاميا وسياسيا، بالإضافة إلى إرتباط المفهوم بالديمقراطية في هذه المجتمعات، الأمر الذي يطرح تساؤلا في الدول العربية الإسلامية.

وبنّاء على هذه المعطيات قام الباحث **عزي عبد الرحمان** بصياغة مفهوم جديد يرادف الرأي العام، وربطه بالمجتمعات العربية الإسلامية، خاصة في الكيفية التي يتعامل بها الجمهور العربي الإسلامي مع وسائل الاعلام، فإصطلح مفهوم **المخيال الإعلامي** بنوعيه المجسد والمجرد.

ويستخدم مفهوم المخيال ليقصد به حالة تضمن المشاعر النفسية الإجتماعية التي تتكون بفعل ما يتعرض إليه الجمهور(العربي الإسلامي عامة) من محتويات وسائل الإتصال من جهة، وبفعل ما يحمله هذا الجمهور من مخزون تراثي وأسطوري من جهة أخرى، ويعكس تعبير المخيال نمط من التصور الذي هو في طور التكوين ومن ثم لا يمكن بسهولة تحديد طبيعته ومراحل تطوره، إذ تتداخل فيه الذاكرة التاريخية بصورة مشوهة بفعل عصر الإنحطاط والظاهرة الإستعمارية مع محاولة وسائل الاتصال القفز فوق التاريخ والواقع خاصة في المجتمعات العربية الإسلامية (عزي:44).

اذن فالرأي العام أو المخيّال الاعلامي كما سمّاه الباحث عزي عبد الرحمان لا يزال بعيدا كل البعد عن تعريف محدد له يخصه ويشترك فيه كل الباحثين، وهذا ربما نرجعه وبعد قراءتنا في أدبيات الموضوع الى إختلاف البنيات الإجتماعية والإقتصادية في المجتمعات، هذا ما أدى بالباحث عزي إلى نقد مفهوم الرأي العام، كما أنه في المجتمعات اللبرالية يبقى الرأي العام متأرجح بين من يعتبره موجودا وبين من لا يؤمن بوجوده لأسباب تعلقت في جانب كبير منها بالشق السياسي للموضوع.

قائمة المصادر والمراجع:

-سكري، رفيق. (1984). مدخل في الرأي العام والإعلام والدعاية (ب ط). لبنان: منشورات جروس_برس.

-عزي، عبد الرحمان. (1990). الرأي العام والعصبية والشورى(دراسة نقدية). المجلة الجزائرية للاتصال العدد5.

-حاتم، محمد عبد القادر. (1973). الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية (ب ط). لبنان: مكتبة لبنان.

-طرشي فتيحة. (2010). مظاهر إهتمام الدول بالرأي العام. رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، كلية الحقوق.

-بدر، أحمد.(2010).الرأي العام والسياسة العامة (ب ط). القاهرة: الدار المصرية السعودية.

-حجاب، محمد منير. (2000).أساسيات الرأي العام. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

-محمد عبد الله. (1982). العلاقات العامة. القاهرة: دار التأليف.

-بوجلال،عبد الله. (1990).الرأي العام مفهومه، تكوينه، خصائصه، ومظاهره وأهمية قياسه. المجلة الجزائرية للاتصال، العدد5.

-إمام.إبراهيم. (1969).الإعلام والإتصال بالجماهير. القاهرة: المكتبة الانجلوساكسونية.

-بورديو.بيار.(ب س). الرأي العام غير موجود تر(رضوان بوجمعة). مجلة معالم، العدد الأول.